كاتب لا يعرف قدر نفسه

سلامة موسى هو الكاتب الذي أعنيه... ولو كان يعرف قدر نفسه لما تهجم على أستاذين يعرف قدرهما المثقفون لا أنصاف المثقفين من قرائه والمعجبين به!

لقد كتب حضرته كلمة في العدد (١٨٨) من مجلة المسامرات عن الشاعر الألماني جيته تحت عنوان (مثلي الأعلى) ... ومن حسن حظ الشاعر الخالد أنه ودع الحياة قبل أن يعلم أنه مثل أعلى لسلامة موسى، وقبل أن يقرأ كلمة يستطيع أن يكتبها عنه بعض النابغين من طلبة المدارس الثانوية!

لا يهمني أن أنقل للقراء ما كتب هذا الرجل في مجال الحديث عن جيته، لأن صفحات (الرسالة) تضيق بهذا الطراز من المعلومات التي يعرفها صغار الطلاب... ولكن يهمني أن أنقل إليهم هذه الفقرات التي تكشف عن مركب النقص في الشخصية الأدبية:

(وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان الأول آلام فرتر الذي ترجمه و(ألفه) الأستاذ أحمد حسن الزيات، والثاني فاوست الذي ترجمه الدكتور محمد عوض محمد... وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلي لقصتي الشاعر الألماني، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما في الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية)!

هذه كلمات رجل يتقلب على جمرات محرقة من مركب النقص، ومركب النقص في حياة سلامة موسى أنه تناول قلمه ليكتب منذ ربع قرن، ومع ذلك فهو ينظر فيجد نفسه في مؤخرة الصفوف... من هنا ينبع حقده الدفين على هؤلاء الذين ارتقوا سلم المجد الأدبي في وثبات وخلفوه على الأرض!

ترجمة الزيات عن الأصل الفرنسي لا تعجب سلامة موسى، وترجمة عوض محمد عن النص الألماني لا ترضي سلامة موسى... وعلى الذين يريدون الوصول إلى الروح الأصلي أن يرجعوا إلى سلامة موسى وقلمه، قلمه الذي يذكرني بأقلام المترجمين في روايات الجيب!

مركب النقص ولا شيء غير مركب النقص... ولن يغير هذا المركب البغيض شيئًا من هذه الحقيقة المؤلمة التي يحس لذعها الرجل، وهي أنه يوم تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربي المعاصر فلن يذكر فيها أسمه إلا في مجال التسجيل الإحصائي!

إن الثقافة المهوشة والمعومات المبعثرة لا يمكن أن تحتل مكانها في تاريخ الأدب، إلا إذا قدر لتاريخ الأدب أن يكتبه المعجبون بقلم الأستاذ سلامة من قراء (النداء)!!.

كرافتشنكو مرة أخرى:

إنك تذكره بلا ريب. هذا الموظف الروسي الكبير صاحب (آثرت الحرية). ولقد حدثتك في عدد مضى من (الرسالة) عن الكتاب وصاحبه، وعن تلك الضجة التي أثارتها حوله مجلة (لي ليتر فرانسيز)، وهي الضجة التي شغلت الرأي العام الفرنسي قبل أن تأخذ طريقها إلى القضاء، وشغلت الرأي العام في العالم بعد أن دفع بها كرافتشنكو إلى أيدي العدالة مطالبًا بمعاقبة خصومه طبقًا لنصوص القانون!

يقول خصوم المؤلف الروسي إنه كذاب يبرأ منه كتابه بكل ما حوى من تضليل وخداع... ويقول كرافتشنكو إن لديه الدليل على صحة كل رأي سجله، وكل قصة أتى بها، وكل حادث أورده وأستند إليه. والرأي العام بعد ذلك موزع الفكر بين مزاعم ومزاعم، وبين وثائق ووثائق، وبين شهود وشهود، يترقب اليوم الذي يقول فيه القضاء كلمته... وإنها لكلمة تقرر مصير الكتاب ومستقبل صاحبه، وتحدد مكان الخصوم وسمعة الصحيفة الفرنسية.

كرافتشنكو في رأي خصومه سكير ومحتال وجاهل وكذاب وخائن. ولكن تجريحهم لشخصيته يستند أول ما يستند إلى تلك الدعامة الكبرى من دعائم الاتهام وهي الكذب. أنهم يسلكون شتى الطرق بغية الوصول إلى هذا الهدف الذي تتحطم على صخوره كل حقيقة من حقائق (آثرت الحرية)، وهو أن كرافتشنكو كذاب بالطبع والسليقة.

في هذه الدائرة يحصر القائمون على أمر المجلة الفرنسية جهودهم ويستمدون أدلتهم من واقع الكتاب وواقع الحياة. أما واقع الكتاب فقد قدمت إليك منه ثلاثة نماذج لثلاثة أسئلة وجهها الخصوم إلى صاحب (آثرت الحياة) عن بعض ما عرض له من وقائع هي في رأيهم أوهام وأباطيل. وأما واقع الحياة فقد خطر لهم أن يواجهوا كرافتشنكو بزوجته السابقة لتدلي برأيها فيمن كان أقرب الناس إليها، تلك التي كانت في يوم من الأيام أقربهم إليه... ومرة أخرى يقف كرافتشنكوا في مهب العاصفة! إن الزوجة السابقة تقف اليوم في ساحة القضاء لتنعت زوجها بالكذب وسوء الخلق وانحراف الطبع، وإنها لتنتزع الأدلة على صدق قولها من أعماق الذكريات، ومن واقع تلك الفترة التي جمعت بينهما تحت سقف واحد ثم دفعت بكل منهما إلى طريق... ولقد كان زواجهما منه جحيمًا لا يطاق، خرجت منه بطفل تدعو الله ألا يرث شيئًا من أخلاق أبيه!

وهنا يقف كرافتشنكو ليزأر كحيوان جريح: أن هذا الذي تنطق به محض افتراء دنيء وادعاء باطل... أليس عجيبًا ألا أسمع إلا في هذه اللحظة بأنني أب لطفل لا أعلم شيئًا من أمره ولا متى ولد؟! أن الملقن الحقيقي لهذه الشهادة الملفقة هو الجستابو الروسي ولقد بعث بها من موسكو إلى هنا لتشهد ضدي... هذه السيدة المحترمة التي لقي أبوها حتفه في مجاهل سيبيريا تحت وطأة التشريد والتعذيب!

وتنهض الشاهدة مرة أخرى لتصرخ في وجهه: إنك أكبر كذاب يا كرافتشنكو. لقد طلبت إليك يومًا أن تساعدني على تربية طفلك فضننت عليه بعطفك دون أبوتك، أما أبي فقد مات على فراشه في موسكو ولم يمت كما زعمت في مجاهل سيبيريا! وإنك بعد ذلك لفي الطليعة من صفوف الخونة. لقد أنكرت بنوتك لوطنك بالأمس في (آثرت الحياة) وأنكرت أبوتك لولدك اليوم في ساحة القضاء!

هذه هي المفاجأة الثانية من مفاجآت القضية المثيرة التي يترقب الناس نهايتها بشغف بالغ واهتمام كبير. وفي انتظار كلمة القضاء نستطيع أن نؤكد حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل، وهي أنه لو قدر لكرافتشنكو أن ينتصر على خصومه لكان انتصاره لطمة قاسية للشيوعية الروسية والفرنسية! ترى من سيخرج من هذا النضال مرفوع الرأس! سؤال تجد الجواب عنه في الغد القريب.